

## المحور الثاني: مناهج البحث العلمي

يُعد المنهج العلمي الأداة الأكثر فاعلية في تنظيم الأفكار المشتتة، والوسيلة المنهجية الرامية إلى الكشف عن الحقائق اليقينية المتعلقة بالظواهر التي تسترعي انتباه الباحثين في شتى مجالات المعرفة الإنسانية. واستناداً إلى هذا الدور، تتعدد المناهج البحثية بتعدد الموضوعات المبحوثة؛ إذ يختار الباحث المنهج الذي يتلاءم مع طبيعة الظاهرة التي يدرسها، نظراً لما يتمتع به كل منهج من خصائص تجعله أنسب من غيره لمعالجة قضايا بعينها. ووفقاً لهذا المنظور، تُصنف مناهج البحث العلمي في هذا المحور إلى فئتين: **المناهج الرئيسية والمناهج الفرعية**، وسنتناول في هذا القسم المناهج الرئيسية بالتفصيل.

### أولاً: المناهج الرئيسية

تتمثل المناهج الرئيسية في أربعة ركائز أساسية هي: المنهج التاريخي، والمنهج التجريبي، وبيانها كالتالي:

#### 1- المنهج التاريخي

يعد المنهج التاريخي أحد الركائز الأساسية للبحث العلمي، حيث ينطلق من قاعدة مفادها أن الحاضر ليس إلا ثمرة للماضي وامتداداً حتمياً له. وفيما يلي تفصيل شامل لهذا المنهج:

**أ- مفهوم المنهج التاريخي:** ينطلق هذا المنهج من فرضية أن الحاضر هو امتداد للماضي، ولا يمكن فهم الظواهر المعاصرة دون سبر أغوار تاريخها. يُعرف بأنه "المنهج الاستردادي" الذي يسعى لاسترجاع الأحداث الماضية وإعادة بنائها وفق سياقها الزماني والمكاني، مما يساعد في تحليل الظواهر الاجتماعية والقانونية وتوقع مساراتها المستقبلية.

#### ب- أهمية المنهج التاريخي:

- تمكين الباحث القانوني من فهم الجذور العميقة للنظم الحديثة.
- القدرة على التنبؤ بالاتجاهات القانونية المستقبلية بناءً على تجارب الماضي.
- تتبع أصل المصطلحات القانونية (مثل الديمقراطية) وفهم العوامل التي أدت لتشكيل القواعد القانونية.

- استخلاص العبر من الحلول القانونية السابقة وتجنب سلبياتها.

- الشمولية؛ حيث يستخدم في شتى العلوم (اقتصادية، عسكرية، اجتماعية) طالما ارتبطت بحدث مضى.

**ج- خطوات البحث في المنهج التاريخي:** يلتزم الباحث في هذا المنهج بمسار دقيق يتكون من:

**-تحديد المشكلة:** صياغة التساؤلات التي تحفز البحث عن الحقيقة التاريخية.

**-جمع البيانات:** حصر كافة الوثائق والآثار والتسجيلات. وتُقسم المصادر إلى:

- **مصادر أصلية:** كالأثار، القوانين الأصلية، والمعاهدات.
- **مصادر ثانوية:** وهي الدراسات والأعمال التي كتبت استناداً للمصادر الأولية.

**-نقد المصادر والمعلومات:**

- **النقد الخارجي:** يركز على "شكل" الوثيقة للتأكد من هويتها وأصالتها وزمن كتابتها.
- **النقد الداخلي:** يركز على "المضمون"؛ وينقسم إلى (إيجابي) يحلل النص، و(سلبى) يختبر أمانة الكاتب ومدى دقة ملاحظته للحوادث.

**-مرحلة التركيب:** وهي العملية الأهم؛ حيث يتم تكوين صورة كاملة للموضوع، تنظيم الحقائق المتفرقة، ملء الفراغات الناتجة عن نقص الوثائق عبر "المحاكمة العقلية"، وربط الأحداث بعلاقات السببية للوصول إلى قوانين ثابتة.

**-صياغة تقرير البحث:** عرض النتائج بأسلوب علمي رصين يلتزم بالدقة والموضوعية بعيداً عن الخيال.

**د- تطبيقات المنهج التاريخي في العلوم القانونية:** يُعد هذا المنهج حجر الزاوية في الدراسات القانونية المقارنة؛ فبواسطته ندرك العلاقة بين تطور المجتمعات وتطور التشريعات. وتبرز تطبيقاته في:

- دراسة النظم القانونية القديمة (البابلية كقانون حمورابي، والرومانية كالألواح الاثني عشر).

- تتبع نشأة النظم القضائية، أصل العقوبة، وتطور الفكر الدستوري ونظريات السلطة والجريمة.

### هـ- تقدير المنهج التاريخي:

- **المزايا:** يربط بين الماضي والحاضر بأسلوب علمي منظم، ويعتمد على نقد صارم للمصادر مما يرفع من قيمة النتائج.
- **العيوب:** صعوبة التعميم والتنبؤ اليقيني نظراً لخصوصية كل ظرف زمني، الطبيعة الجزئية للمعرفة التاريخية (بسبب ضياع الوثائق أو تزويرها)، وصعوبة إخضاع الحوادث الماضية للتجريب المخبري، مما يجعل الباحث يكتفي بالنقد والتحليل.

### و- المنهج التاريخي في البحث العلمي

#### - أهمية المنهج التاريخي:

تتجلى القيمة العلمية للمنهج التاريخي في النقاط التالية:

- **فهم النظم الحديثة:** يُمكن الباحث القانوني من استيعاب النظم القانونية المعاصرة عبر تتبع مراحل تطورها وتحسنها انطلاقاً من جذورها القديمة.
- **الاستشراف المستقبلي:** يتيح فهم النظم السابقة إمكانية التنبؤ بمسارات التطور القانوني مستقبلاً، باعتبار التاريخ "مختبراً" للتجارب الإنسانية.
- **تأصيل المصطلحات:** كشف الأصول التاريخية للمصطلحات والقواعد القانونية (مثل: الديمقراطية، الدفاع الشرعي) ومعرفة العوامل التي شكلتها.
- **الاستقراء الذهني:** هو المنهج الوحيد القادر على استعادة الأحداث الماضية ذهنياً لتحليلها واستخلاص العبر منها لخدمة الحاضر.
- **تجاوز الأخطاء:** يساعد في تتبع المشكلات القانونية وحلولها السابقة، للوقوف على الإيجابيات وتعزيزها وتجنب السلبيات التاريخية.
- **الشمولية:** لا يقتصر استخدامه على علم التاريخ، بل يمتد للعلوم الطبيعية، الاجتماعية، الاقتصادية، وحتى العسكرية، لدراسة أي ظاهرة ذات بعد زمني.

- **المنهج المقارن:** يسمح بعقد مقارنات دقيقة بين المراحل المختلفة لتطور الظاهرة الواحدة.

### ج- خطوات البحث وفق المنهج التاريخي

يرتكز المنهج التاريخي على خمس خطوات إجرائية حاسمة يجب على الباحث الالتزام بها:

#### -اختيار الموضوع وتحديد المشكلة:

تبدأ العملية بتحديد الظاهرة التاريخية التي تثير تساؤلات علمية، حيث تعمل "المشكلة العلمية" كمحرك وموجه للبحث حتى الوصول إلى قوانين ونظريات تفسر الحقيقة التاريخية المبحوثة.

#### -جمع البيانات والمعلومات التاريخية

تعتبر المرحلة الأهم، حيث يتم حصر كافة الشواهد والآثار والوثائق المتعلقة بالمشكلة. وتُصنف المصادر إلى نوعين:

- . **مصادر أصلية:** وتشمل الآثار المادية، والوثائق الرسمية (قوانين، معاهدات، اتفاقيات، خطب، محاضر مؤتمرات).
- . **مصادر ثانوية:** وهي كل ما كُتب أو نُقل استناداً إلى المصادر الأولية، كالأعمال الأدبية والعلمية التي تحلل الأصل.

#### - نقد المصادر والمعلومات

لا تُقبل المعلومات التاريخية إلا بعد إخضاعها لعملية نقد مزدوجة:

- . **النقد الخارجي:** يستهدف التأكد من أصالة وهوية الوثيقة (هل هي حقيقية أم مزورة؟)، وذلك بفحص لغتها، أسلوبها، نوع الخط، وتوافقها مع الفترة الزمنية المنسوبة إليها.
- . **النقد الداخلي:** ينقسم إلى:
  - . **نقد إيجابي:** يركز على تفسير النص المكتوب وتحليله.
  - . **نقد سلبي:** يركز على اختبار أمانة الكاتب، دقة ملاحظته، سلامته العقلية والصحية، وهل سجل الحدث بناءً على مشاهدة مباشرة أم نقلاً عن غيره.

## - مرحلة التركيب (بناء الحقيقة)

تتضمن تنظيم المعلومات المشتتة لإعادة بناء الحدث، وتشمل:

- تكوين صورة ذهنية متكاملة عن كل حقيقة مكتشفة.
- تصنيف المعلومات المتجانسة في مجموعات منطقية.
- **ملء الفراغات**: سد الثغرات في الرواية التاريخية عبر "المحاكمة العقلية" (سواء كانت سلبية بإسقاط الأحداث الناقصة، أو إيجابية باستنتاج حقائق لم تذكرها الوثائق).
- ربط الحقائق بعلاقات "السببية والحتمية" لاستخراج القوانين العامة.

## - كتابة تقرير البحث

وهي المرحلة الختامية، حيث يتم صياغة النتائج بأسلوب علمي دقيق، بعيداً عن الصور البلاغية أو الخيال، مع الالتزام الصارم بتقنيات الكتابة الأكاديمية وأصول البحث العلمي.

## د- تطبيق المنهج التاريخي في العلوم القانونية والإدارية

يلعب المنهج التاريخي دوراً محورياً في الحقل القانوني من خلال:

- كشف الأصول التاريخية للمدارس والنظريات القانونية والإدارية.
- إجراء المقارنات بين النظم عبر التاريخ لفهم العلاقة بين تطور المجتمع وتطور القانون.
- معرفة أصل الغاية من التشريع في الحضارات القديمة (مثل: قانون حمورابي البابلي، الألواح الاثني عشر الرومانية).
- تأصيل دراسة مواضيع جوهرية مثل: نشأة الدولة، تطور الدساتير، فلسفة العقوبة، ونشأة الأنظمة القضائية.

## هـ- تقدير المنهج التاريخي (المزايا والعيوب)

### -المزايا:

- توضيح الترابط الوثيق بين الماضي والحاضر.
- الالتزام التام بخطوات الأسلوب العلمي (تحديد المشكلة، الفرضيات، التحليل، التعميم). امتلاك أدوات نقدية (داخلية وخارجية) ترفع من درجة الموثوقية في البيانات المجموعة.

## - العيوب:

- . **صعوبة التعميم والتنبؤ**: نظراً لخصوصية الظروف الزمانية والمكانية التي قد لا تتكرر.
- . **نسبية المعرفة**: المعلومات التاريخية غالباً ما تكون جزئية بسبب ضياع الوثائق، التلف، أو التحيز البشري.
- . **صعوبة التطبيق المخبري**: لا يمكن إخضاع الظاهرة التاريخية للتجربة المباشرة كما في العلوم الطبيعية.
- . **تعقيد السببية**: يصعب أحياناً الجزم بعلاقة السبب بالنتيجة نظراً لتشابك العوامل التاريخية.

## 2- المنهج التجريبي في البحث العلمي

يُعتبر المنهج التجريبي الأداة العلمية الأكثر دقة في الربط بين الظواهر، حيث يعتمد على التدخل المباشر للباحث في الواقع لإثبات العلاقات السببية.

### أ- مفهوم المنهج التجريبي

المنهج التجريبي هو إحداث تغيير متعمد ومضبوط في الشروط المحددة لظاهرة ما (موضوع الدراسة)، ثم رصد الآثار الناجمة عن هذا التغيير. هو الطريقة التي تمكن الباحث من تحديد المتغيرات والسيطرة عليها والتحكم بها بدقة.

- . **حسب "موريس أنجرس"**: "هو دراسة موضوع البحث عبر إخضاعه للتجربة لجعله دراسة قائمة على "السببية".
- . **الهدف الجوهرى**: إقامة علاقة (سبب ونتيجة) بين المتغيرات؛ حيث يقوم الباحث بمعالجة المتغير المستقل تغيير محتواه لقياس أثره في المتغير التابع الذي يتلقى التأثير.

### ب- خصائص المنهج التجريبي

يتميز هذا المنهج بسمات تجعله يتصدر المناهج العلمية الحديثة:

- **المصادقية العالية**: هو أقرب المناهج للطريقة العلمية الصارمة، مما يضيفي ثقة كبيرة على نتائجه.

-**التجربة الخارجية**: لا يكتفي بالاستنتاج العقلي، بل يقوم على تثبيت جميع العوامل المؤثرة (المتغيرات الدخيلة) وعزل أثر متغير واحد فقط.

-**الموضوعية المطلقة**: تفرض النتائج التجريبية نفسها على العقل، حتى وإن خالفت رغبات الباحث الشخصية.

-**التحكم والضبط**: يتميز بقدرة الباحث على التدخل في الظاهرة وتغيير مجراها بشكل منتظم لقياس التأثير الدقيق.

-**اختبار الفروض**: يركز أساساً على تحويل الفرضيات النظرية إلى واقع مادي ملموس للتأكد من صحتها.

### ج- أهمية المنهج التجريبي

- رسم معالم البحث العلمي بدقة من خلال أداة الملاحظة.
- الوصول إلى نتائج وحقائق قطعية تقدم حلاً عملياً للمشكلات.
- كشف الروابط الخفية بين متغيرات الدراسة.
- القدرة على السيطرة على العوامل الأساسية المؤدية للمشكلة البحثية.

### د- خطوات المنهج التجريبي

يمر البحث التجريبي بثلاث مراحل متكاملة:

-**مرحلة التعريف والتوصيف والتصنيف**: مرحلة المشاهدة العينية للظواهر ووصفها وتصنيفها في قوالب محددة لمعرفة حالتها الراهنة (تعتمد على الملاحظة).

-**مرحلة التحليل**: مرحلة كشف الروابط والعلاقات عبر تفسير الظواهر بناءً على الملاحظة ووضع الفرضيات لاستخراج القوانين الجزئية.

-**مرحلة التركيب**: تنظيم القوانين الجزئية المستخلصة لصياغة قوانين كلية وعامة (مثل قوانين الجاذبية لنيوتن).

### هـ- عناصر المنهج التجريبي

-**المشاهدة أو الملاحظة العلمية**

هي المحرك الأولي للبحث، وتنقسم إلى نوعين:

- **الملاحظة البسيطة:** انتباه عفوي وعرضي للحواس دون قصد مسبق، ومع ذلك أدت لاكتشافات كبرى (مثل الجاذبية).
- **الملاحظة العلمية المسلحة:** مشاهدة مقصودة ومنظمة تستعين بأدوات تكنولوجية لتعزيز الحواس (يسمىها كلود برنارد "المسلحة" لاستخدامها آلات مقوية للنظر والحس).
- **في العلوم القانونية والاجتماعية** تُقسم إلى:
  - **الملاحظة بالمشاركة:** انخراط الباحث في جماعة المبحوثين (صريحة أو مستترة)، والمستترة أفضل لضمان طبيعية سلوك المبحوثين.
  - **الملاحظة دون مشاركة:** مراقبة المبحوثين عن بُعد واستخدام وسائل وسيطة لتسجيل البيانات.

### -الفرضيات العلمية

هي تخمين أو تفسير مؤقت للظاهرة، إن ثبتت صحتها بالتجربة أصبحت قانوناً، وإن ثبت خطأها وجب العدول عنها.

- **مصادرها خارجية:** تتبع من الملاحظة العفوية أو الصدفة.
- **مصادرها داخلية:** تتبع من ذكاء الباحث، خياله، خبرته، وقدرته على الاستبصار.

### -التجربة الخارجية

هي عملية اختبار الفرضيات ميدانياً، ويشترط لنجاحها: (دقة الفرضيات، استبعاد الفروض غير السليمة، توفير الأجهزة اللازمة، تكرار التجربة للتعميم، والاعتماد على الإحصاء عند استحالة التجربة المادية).

### و- تطبيقاته في العلوم القانونية والإدارية

يُعد الميدان القانوني والإداري مجالاً خصباً للتجريب:

- **في القانون الإداري:** دراسة ظاهرة تقسيم العمل، التخصص، السلطة الإدارية، ونظريات تدرج السلطة ونطاق الإدارة.
- **في القانون الجنائي:** دراسة شخصية المجرم (مثل دراسات لومبروزو)، السلوك الإجرامي، وفلسفة العقاب، بالاستعانة بعلم النفس الجنائي والوراثة.

- **إسهامات الرواد:** إميل دوركايم: درس العلاقة بين القانون والروابط الاجتماعية (كتاب تقسيم العمل الاجتماعي).
- **مونتيسكيو:** في كتابه "روح القوانين".
- **تجربة بولندا 1960:** إصلاح النظام القضائي وقانون المرافعات.

## ز- تقدير المنهج التجريبي (الصعوبات والعيوب)

رغم دقته، تواجه المنهج التجريبي عقبات في المجال القانوني والاجتماعي:

- **صعوبة الضبط:** تعقد الظواهر الاجتماعية يجعل من الصعب عزل المتغيرات تماماً.
- **العجز عن التجريب المباشر:** في حال استحالاته، يُلجأ إلى **المنهج المقارن** (التجريب غير المباشر) أو المنهج الإحصائي.
- **التحيز البشري:** قد يغير المبحوثون سلوكهم إذا علموا أنهم قيد التجربة (سلوك اصطناعي).
- **الطبيعة المقيدة:** التجربة تتم في ظروف غير طبيعية (اصطناعية)، مما قد يؤثر على دقة تعميم النتائج في الحياة الواقعية.

## د- تطبيقات المنهج الجدلي في العلوم القانونية والإدارية

يُعد المنهج الجدلي الأنسب للدراسات القانونية نظراً لطبيعتها المتطورة، وتبرز تطبيقاته في:

- **تأصيل الدولة والقانون:** يُستخدم لتفسير أصل الدولة وغاية القانون، وهو ركيزة في مؤلفات فلسفة القانون والقانون الدستوري والعلوم السياسية.
- **تحليل السلطة والحرية:** يفسر العلاقة الجدلية بين السلطة كقوة ضابطة والحرية كحق إنساني، وكيفية توازن الظاهرتين.
- **ظاهرة الثورة والشرعية:** يقدم تفسيراً موضوعياً لكيفية نشوء الثورات كنتيجة لصراع القوى الاجتماعية، وأثر ذلك على مبدأ الشرعية القانونية.
- **التغير الاجتماعي:** رصد أثر التحولات المجتمعية في تغيير النظم القانونية وتكيف التشريعات مع الواقع الجديد.
- **تطبيق القانون والقضاء:** يستعين به القاضي والمشرع لتعميق فهم الفرضيات القانونية والوصول لحلول دقيقة للإشكالات المعقدة.

- **العلوم الإدارية:** أدى تطبيقه إلى استنباط مفاهيم إدارية حديثة مثل "المركزية الديمقراطية"، التي ولدت من رحم الجدل والصراع بين النظام المركزي (السلطة الرئاسية) والنظام اللامركزي.
- **التفسير المادي للتاريخ:** ساعد في الكشف عن التفسيرات الاقتصادية للتاريخ وظهور أنظمة سياسية وقانونية جديدة .

## ثانياً: المناهج الفرعية

بعد دراسة المناهج الرئيسية، ننتقل إلى المناهج الفرعية التي تُعد أدوات تخصصية لا غنى عنها للباحث، وأولها وأهمها المنهج التحليلي.

### 1- المنهج التحليلي

#### أ- مفهوم المنهج التحليلي

- **لغويًا:** شير التحليل إلى عملية التفكيك والتجزئة.
- **اصطلاحًا:** يُعرف بأنه "تفكيك الكل إلى أجزائه المكونة له"، وهو عملية ذهنية تهدف إلى تجزئة الظاهرة المعقدة إلى عناصرها البسيطة والأساسية بغرض دراستها بعمق وفهم جوهرها.
- **ماهيته:** يُسمى بالمنهج "الاستكشافي" أو "منهج الاختراع"؛ لكونه يسمح للباحث بالوصول إلى الحقيقة الكامنة وراء الملامح العامة للظاهرة، من خلال فحص كل عنصر على حدة وبالتفاعل مع العناصر الأخرى التي تشكل قوام الموضوع المدروس.

#### ب- أهمية المنهج التحليلي ومميزاته

- **تحليل المضمون (الشكل والمحتوى):** لا يقتصر على الجوانب الموضوعية، بل يمتد للجوانب الشكلية (مثل تحليل هيكل النصوص القانونية والأحكام القضائية).
- **الرصد الكمي والكيفي:** يعتمد على تكرار المصطلحات، الجمل، والرموز، لتحويل المعطيات الكمية إلى تحليل كيفي موضوعي.
- **الموضوعية والثبات:** يخضع لمتطلبات الصدق العلمي، حيث يجب أن تؤدي إعادة التحليل لنفس المادة من قبل محللين آخرين إلى نتائج متطابقة (التحكيم الخارجي).

**التكامل المنهجي:** يُعد مكملاً للمناهج الأخرى (الوصفية أو التاريخية) لتقديم تفسير شامل للظاهرة.

**-العمق البحثي:** يساعد الباحث في تقسيم دراسته إلى وحدات صغيرة، مما يسهل وضع الفرضيات الدقيقة واستخراج النتائج الموثقة بالأدلة.

**-آلة تفسيرية:** يمنح الباحث قدرة على الاندماج في صلب الموضوع والتحكم فيه دون الحاجة للاتصال المباشر بالمبحوثيين، اعتماداً على المادة المكتوبة.

### ج- آليات وشروط التحليل الناجح

يتطلب المنهج التحليلي مهارات خاصة في الباحث، منها:

- الإحاطة الواسعة بالموضوع والتمكن التام من لغة البحث.
- الفطنة والذكاء في تفكيك الأفكار، وهي مهارة تكتسب بالممارسة.
- التجرد من الأحكام المسبقة والخلفيات الشخصية.
- الاستقلال الفكري وتجنب التبعية أو النقل الأعمى للأقوال (الباحث الذي لا يحلل هو مجرد جامع للمواد الخام).
- إبراز شخصية الباحث وقناعاته العلمية من خلال عملية التحليل.

### • د- أسس المنهج التحليلي (العمليات الثلاث)

يقوم المنهج على ثلاث ركائز أساسية قد تجتمع معاً أو يُكتفى ببعضها:

#### مرحلة التفسير:

- **التفسير البسيط:** شرح النصوص وتأويلها وتحديد المتشابه والمختلف لتتضح معالم المشكلة.
- **التفسير المركب:** تعليل الظواهر بإعادتها إلى أصولها وربط الآراء بأسبابها الجوهرية (شرح النصوص القانونية والأحكام والآراء فقرة بفقرة لاستخراج نقاط القوة والضعف).

**مرحلة النقد:** تقويم الموضوع برصد مواطن الخطأ والصواب استناداً إلى الثوابت العلمية. ويشمل النقد ذكر الجوانب الإيجابية والسلبية معاً، وتقديم توصيات لإصلاح الخلل المكتشف.

**مرحلة الاستنباط:** استنتاج أحكام جديدة من خلال التأمل في الجزئيات، وينقسم إلى:

- **استنباط جزئي:** تطوير جزء من نظرية سابقة وإضافة معلومات جديدة عليها.
- **استنباط كلي:** بناء نظرية علمية شاملة ومبتكرة تظهر فيها عبقرية الباحث وإبداعه.

## هـ- خطوات المنهج التحليلي

-تحديد المشكلة بدقة.

-صياغة الفروض (توقع العلاقة بين المتغيرات).

-تحديد مجتمع البحث (المادة الخاضعة للدراسة).

-اختيار العينة الممثلة.

-تحديد رموز التحليل (كمية أو كيفية).

1. تحليل النتائج وتفسيرها.

## و- أنواع المنهج التحليلي

- **المنهج الوصفي التحليلي:** يركز على كشف تفاصيل الظاهرة وأسباب حدوثها لوضع حلول واقعية.
- **المنهج المقارن التحليلي:** يقارن بين دراسات مختلفة أو بين قوانين دول متعددة لاستخراج نتائج دقيقة.
- **المنهج الفلسفي التحليلي:** يُستخدم لتفسير الظواهر المعنوية والتربوية والاجتماعية.
- **المنهج الاستكشافي التحليلي:** يُطبق عند التعامل مع الاختراعات الجديدة لتقييمها.

## ز- تطبيقات المنهج التحليلي في العلوم القانونية والإدارية

- **تاريخياً:** برز بعد الحرب العالمية الأولى (تحليل مبادئ ولسن) وتحليل خطابات ديغول.
- **في القانون الجنائي:** تحليل أنماط الجرائم، بيئتها، واعترافات المتهمين وأقوال الشهود.
- **في القضاء والمحاماة:** تحليل الأحكام القضائية قبل الاستئناف.

- **في التشريع والسياسة:** دراسة الدساتير لكشف مواطن الخلل، وتحليل مشاريع القوانين في البرلمان، وتحليل الخطب الدبلوماسية والقرارات الإدارية عبر وسائل الإعلام.

## ح- تقدير المنهج التحليلي (المزايا والعيوب)

### -المزايا:

- القدرة العالية على إيجاد حلول للمشكلات المعقدة.
- الجمع بين البيانات الكمية والنوعية في آن واحد.
- الدقة المتناهية في وصف الظواهر وتبسيطها للقارئ.
- الواقعية الناتجة عن اتصال الباحث المباشر بمكان المشكلة.

### 2-العيوب:

- **ارتباط النتائج بالظروف:** قد تتغير النتائج بتغير الظروف المحيطة مستقبلاً.
- **صعوبة التعميم:** التقيد بحدود زمنية ومكانية ضيقة يجعل تعميم النتائج أمراً صعباً.
- **مخاطر الدقة:** احتمالية وقوع الباحث في أخطاء أثناء جمع البيانات، مما يتطلب يقظة تامة.

## 2-المنهج المقارن

### أ-مفهوم المنهج المقارن

يُعد المنهج المقارن أحد الركائز الأساسية في البحث العلمي، ويقوم على فكرة المقايسة بين ظاهرتين أو أكثر لاستكشاف الروابط بينهما.

- **لغة:** هو المقايسة والمفاضلة بين أمرين لمعرفة مواطن الاتفاق والافتراق.
- **اصطلاحاً:** عملية ذهنية ومنظمة تهدف لإبراز أوجه التشابه والاختلاف بين ظواهر متجانسة؛ حيث لا تصح المقارنة بين المتناقضات كلياً.
- **قانوناً:** هو المنهج الذي يستخدمه الباحث للموازنة بين نظامه القانوني الوطني وأنظمة أجنبية (أو الشريعة الإسلامية) بهدف استخلاص أفضل الحلول التشريعية للمسائل القانونية.

### أبرز التعريفات الفلسفية:

-إيميل دوركايم: وصفه بأنه "تجريب غير مباشر" باعتبار المقارنة بديل المختبر في العلوم الإنسانية.

-جون ستيوارت ميل: هو دراسة الظواهر المتناظرة في سياقات مجتمعية مختلفة.

## ب- الضوابط والشروط الجوهرية للمقارنة

لضمان علمية البحث المقارن، يجب الالتزام بالشروط التالية:

-وحدة الموضوع (التجانس): يجب أن تنصب المقارنة على محل واحد (مثل نظام الزواج أو العقوبة) في نظامين مختلفين، فالمقارنة بين غير المتجانسين لا تؤدي لنتائج علمية.

-تعدد الوحدات: لا يمكن المقارنة بظاهرة واحدة؛ بل يجب الانطلاق من وحدتين فأكثر (مثل القانون الجزائري والقانون الفرنسي).

-التمييز عن المنهج التاريخي: إذا كانت المقارنة تدرس تطور الظاهرة عبر الزمن والأمكنة دون تحليل بنيوي، نكون بصدد "المنهج التاريخي المقارن".

-التمكن اللغوي والمعرفي: ضرورة إحاطة الباحث بلغة ومصطلحات ومبادئ النظام القانوني الذي يقارن به.

-الارتباط بالزمان والمكان: يجب مراعاة السياق الزماني والمكاني للظاهرة لضمان دقة النتائج.

-تحديد نوع العلاقة: التوصل في النهاية إلى طبيعة العلاقة (هل هي تكاملية، تناقضية، أو تفاعلية؟).

## ج- أهمية المنهج المقارن في الدراسات القانونية

تتجلى أهمية هذا المنهج في عدة نقاط:

- تقييم التشريعات: تحديد مواطن القوة والضعف في القوانين الوطنية.
- بديل التجربة: يحل محل المختبر في العلوم الطبيعية كونه يعتمد على التحليل العقلي البحث.

- **إصلاح القوانين**: يضع أمام المشرع تجارب الدول الأخرى للاقتباس منها وسد الثغرات القانونية.
- **التوحيد الدولي**: يمهد الطريق لتقريب وتوحيد الأنظمة القانونية عالمياً.

## د- تصنيفات وأنواع المقارنة

تنقسم الدراسات المقارنة وفقاً لثلاثة معايير أساسية:

### من حيث النوع:

- **المقارنة المغايرة**: بين ظواهر يغلب عليها الاختلاف (مثل الطلاق والخلع).
- **المقارنة الاعتيادية**: بين ظواهر من جنس واحد يغلب عليها التشابه.
- **المقارنة الداخلية**: ضمن نطاق نظام قانوني أو مجتمع واحد.
- **المقارنة الخارجية**: بين نظم اجتماعية أو قانونية متباعدة.

### من حيث الأبعاد:

- **المقارنة الزمنية**: دراسة نفس الظاهرة في فترتين مختلفتين (مثل القضاء الجزائري قبل وبعد 2016).
- **المقارنة المكانية**: دراسة نفس الظاهرة في إقليمين مختلفين في نفس الوقت.
- **المقارنة المزدوجة (زمان ومكان)**: تجمع بين البعدين (مثل التعليم عن بعد قبل وبعد كوفيد في بلدين مختلفين).

### من حيث الشكل:

- **المقارنة الكيفية**: تركز على تحليل الأسباب والمسببات والخصائص نظرياً.
- **المقارنة الكمية**: تعتمد على لغة الأرقام والإحصاء (مثل إحصائيات الجريمة أو الانتخابات).

## ه- أساليب وخطوات المنهج المقارن

### الأساليب المتبعة:

- **المقابلة**: وضع النصوص جنباً إلى جنب (تصلح عند وجود تشابه كبير).
- **المقاربة**: دراسة النظم التي تنتمي لنفس العائلة القانونية.

- **المضاهاة**: بيان الاختلاف بين نظم متباعدة (مثل القانون الأنجلو أمريكي واللاتيني).
- **الموازنة المنهجية**: التحليل العميق للوصول إلى "القانون المثالي".

### و-خطوات البحث:

- تحديد المشكلة**: اختيار عينات البحث بدقة.
- صياغة الفرضيات**: وضع علاقات افتراضية بين المتغيرات.
- التحليل والتفسير**: مراجعة البيانات وتبويبها بشكل منهجي.
- الاستنتاج**: استخلاص أوجه الشبه والاختلاف وتفسير أسبابها.

### ز-التقييم النقدي (الإيجابيات والسلبيات)

#### -الإيجابيات:

- كشف الخصائص العميقة للظواهر عبر الزمن.
- تطوير القوانين بما يواكب الاحتياجات الاجتماعية المعاصرة.

#### -السلبيات والماخذ:

- **صعوبة التجانس**: غالباً ما تكون الظواهر الاجتماعية فريدة ويصعب مقارنتها بدقة.
- **السطحية**: قد تقتصر المقارنة على الشكل الظاهري وتغفل الروح البنيوية للظاهرة.
- **إغفال السياق**: أحياناً يتم عزل الظاهرة عن محيطها الثقافي والحضاري الذي نشأت فيه.
- **تغير المعطيات**: التغيرات المفاجئة في الزمن قد تجعل نتائج المقارنة التاريخية غير دقيقة.

### 3-المنهج الاستقرائي

#### أ-ماهية المنهج الاستقرائي

يُعد المنهج الاستقرائي "منهجاً صاعداً" في التفكير، حيث يبدأ من ترصد الجزئيات لينتهي بصياغة القواعد الكلية.

- **الجذر اللغوي والتاريخي**: تعود جذور المصطلح إلى الفيلسوف "أرسطو"، وتعني لغوياً التتبع والتقصي. وفي اليونانية، تشير إلى عملية "قيادة العقل" من المحسوس (الجزئي) إلى المجرد (العام).
- **التعريف الاصطلاحي**: هو سير استدلالي ينتقل فيه الباحث من ملاحظة الحالات الفردية والجزئيات الواقعية إلى استنباط قوانين عامة أو نظريات شاملة تحكم هذه الجزئيات.

### ب- الخصائص الجوهرية للمنهج

- **منهج هجين**: يمزج بين التفكير العقلي (في صياغة الفرضيات) وبين التجريب الميداني (في فحص الواقع).
- **الموضوعية**: يعتمد على المشاهدة الحسية والرصد الواقعي بعيداً عن الأهواء الشخصية.
- **النسبية**: نتائج الاستقراء ليست مطلقة دائماً، بل هي أحكام قابلة للتعديل عند ظهور معطيات جديدة (خاصة في العلوم الإنسانية).
- **التوفيق بين الواقع والمثال**: يدرس الظاهرة كما هي موجودة فعلاً، وكما ينبغي أن تكون وفق القوانين العامة.

### ج- خطوات البحث الاستقرائي

يمر الباحث الاستقرائي بأربع محطات رئيسية:

- **مرحلة الملاحظة والرصد**: تتبع الظاهرة وجمع البيانات الأولية حولها وتحديد أوجه الشبه والاختلاف.
- **مرحلة وضع الفرضيات (الاكتشاف)**: محاولة وضع تفسيرات مؤقتة للعلاقات بين الظواهر، مع استبعاد الفروض غير المنطقية.
- **مرحلة البرهنة (التجريب العقلي)**: اختبار صحة الفروض بالعودة إلى أرض الواقع للتأكد من تلازم "السبب" مع "النتيجة".
- **مرحلة التقنين والتعميم**: صياغة النتيجة النهائية في شكل "قانون عام" أو قاعدة قانونية ثابتة.

## د-تقسيمات الاستقراء

ينقسم الاستقراء من حيث الشمولية واليقين إلى نوعين:

النوع	النطاق	درجة اليقين
استقراء تام (كلي)	يشمل فحص جميع جزئيات ومفردات الظاهرة دون استثناء.	(يقيني ثابت) لأنه حصر شامل.
استقراء ناقص (جزئي)	يكتفي بفحص عينة أو نماذج من الجزئيات ثم يعمم الحكم.	ظني (احتمالي) ولكنه الأكثر استخداماً في البحث العلمي.

**ملاحظة:** ينقسم الاستقراء الناقص إلى:

- . **معلل:** يعتمد على كشف "علة" مشتركة بين الجزئيات (يقيني نسبياً).
- . **غير معلل:** يعتمد على مجرد الملاحظة دون البحث في الأسباب العميقة.

## ه- القواعد المنهجية للاستقراء (طرق التحقق)

تعتمد دقة المنهج على ثلاث طرق رئيسية للربط بين السبب (العلة) والنتيجة (المعلول):

**طريقة الاتفاق:** إذا وجد السبب وجدت النتيجة (تلازم في الوجود).

**طريقة الاختلاف:** إذا غاب السبب غابت النتيجة (تلازم في العدم).

**طريقة التغيير النسبي:** الزيادة أو النقصان في السبب تؤدي بالضرورة لزيادة أو نقصان في النتيجة (مثل علاقة الاحتكاك بالحرارة).

## و-تطبيقات المنهج في العلوم القانونية والقضائية

يعتبر المنهج الاستقرائي الأداة الأكثر حيوية في العمل القانوني والقضائي:

- . **في القضاء:** القاضي يمارس "استقراءً ناقصاً"؛ فهو يحلل وقائع القضية (جزئيات) ليكيفها قانونياً ويصل إلى حكم (قاعدة فرعية).

- **في القانون الجنائي:** دراسة ظاهرة الإجرام من خلال حالات فردية للوصول إلى فلسفة عقابية عامة.
- **في القانون الإداري:** استقراء أحكام المحاكم الإدارية لاستنباط القواعد العامة التي تحكم علاقة الإدارة بالأفراد.
- **في التشريع:** المشرع يستقرئ حاجات المجتمع ومشاكله الجزئية ليصيغ نصاً قانونياً عاماً ومجرداً.

## ز-تقييم المنهج (المزايا والعيوب)

### -المزايا:

- يمنح الباحث دقة عالية عبر الاتصال المباشر بالواقع والملاحظة الميدانية.
- يساعد في تحويل المشاهدات المشتتة إلى قوانين علمية منظمة تخدم المجتمع.

### -العيوب:

- **عائق التعميم:** يصعب أحياناً تعميم نتائج عينة صغيرة على مجتمع بحث كبير ومتغير.
- **تغير المعطيات:** الظواهر الإنسانية والاجتماعية في تغير مستمر، مما قد يجعل القوانين المستنبطة استقرائياً "مؤقتة" وغير صالحة لكل زمان.

## 4-المنهج الوصفي (Descriptive Method)

### أ-المفهوم المنهج الوصفي

المنهج الوصفي هو أداة بحثية تهدف إلى رصد وتحليل الظواهر كما هي في الواقع، من خلال تحديد خصائصها، أبعادها، والعلاقات التي تربط بين متغيراتها.

- **التوصيف الكيفي:** يركز على الخصائص النوعية والجوهرية للظاهرة.
- **التوصيف الكمي:** يركز على البيانات الرقمية والمقادير الإحصائية وحجم الارتباط بين الظواهر.

### ب-خصائص وأهداف المنهج الوصفي

- **الواقعية والموضوعية:** يدرس الظواهر المرتبطة بواقع الأفراد والمؤسسات بعيداً عن التجريد الخيالي.

- **التنبؤ:** يساعد في استشراف مستقبل الظاهرة من خلال تتبع معدلات التغير الحالية.
- **تعدد الأدوات:** يميل لاستخدام الاستبيانات، المقابلات، والملاحظة بدلاً من الاقتصار على الفرضيات الجامدة.
- **جمع البيانات:** يهدف إلى توفير قاعدة بيانات دقيقة تساعد في اتخاذ القرارات وحل المشكلات القائمة.

### ج- مراحل البحث الوصفي

- **مرحلة الاستكشاف (الدراسات الاستطلاعية):** تهدف إلى صياغة مشكلة البحث وتعرف أبعادها الأولية من خلال استشارة الخبراء وتلخيص الدراسات السابقة.
- **مرحلة التشخيص (الوصف المعمق):** تهدف إلى تحديد الخصائص بدقة وتجميع معلومات تفصيلية تسمح بتشخيص الدوافع والأسباب.

### د- أدوات المنهج الوصفي

- **الاستبيان:** محدد، غير محدد، أو مزيج بينهما للحصول على بيانات من المبحوثين.
- **الملاحظة:** رصد السلوكيات وتدوينها بدقة بناءً على خبرة الباحث.
- **المقابلة:** فردية أو جماعية لاستقصاء المعلومات وملاحظة الانفعالات.
- **العينة:** اختيار مجموعة ممثلة لمجتمع البحث لتعميم النتائج عليها.

### هـ-منهج دراسة الحالة (Case Study)

#### -المفهوم

هو أحد المناهج الوصفية التي تركز على التعمق الشديد في دراسة وحدة معينة (فرد، مؤسسة، مجتمع محلي) دراسة تفصيلية شاملة لتاريخها وحاضرها، بهدف الوصول إلى تعميمات تنطبق على الحالات المشابهة.

#### -المميزات والخطوات

- **المميزات:** يسمح بالوصول إلى تفاصيل لا تدركها الدراسات المسحية السطحية، ويغطي تاريخ الظاهرة منذ نشأتها.
- **الخطوات:**

1. تحديد الحالة ونطاقها الزماني والمكاني.
2. جمع البيانات الأولية (الملاحظة، المقابلة، الوثائق).

3. صياغة الفرضيات التفسيرية.  
4. تحليل البيانات واستنباط النتائج والتعميمات.

### و-التطبيقات في العلوم القانونية والإدارية

يمتد استخدام المناهج الوصفية ودراسة الحالة ليشمل كافة فروع القانون:

- . **العلوم الجنائية**: دراسة سلوك المجرمين، الظروف الاجتماعية للجريمة، وفحص المؤسسات العقابية.
- . **القانون الإداري**: وصف الهياكل التنظيمية، القرارات الإدارية، وظاهرة البيروقراطية.
- . **القانون الخاص**: دراسة ظواهر اجتماعية قانونية مثل الطلاق، النزاعات التجارية، وحماية المستهلك.

### ز-تقييم المنهج (المزايا والعيوب)

المزايا	العيوب والماخذ
تقديم وصف واقعي ودقيق للمشكلات الإنسانية.	احتمال تحيز الباحث الشخصي في التفسير.
القدرة على التنبؤ بالتطورات المستقبلية.	صعوبة تعميم النتائج في الحالات الإنسانية المعقدة.
تزويد الباحث بكم هائل من المعلومات الميدانية.	إمكانية الاعتماد على مصادر معلومات غير دقيقة.
الربط بين المتغيرات (المقارن).	صعوبة وضع واختبار الفرضيات في البيئات المتغيرة.

خلاصة: تكامل المناهج

إن البحث العلمي الرصين لا يكتفي بمنهج واحد؛ فالباحث المتميز هو من يجمع بين **المنهج الوصفي** لتقرير الواقع و**المنهج التحليلي** لتفسيره و**المنهج المقارن** لتقويمه، مما يحقق فهماً شاملاً وعميقاً للإشكالية البحثية وسداً للفجوات المعرفية.